

مظاهر نمو الوعي بالازدواجية لدى الطفل

بن الدين بخولة

جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف ، trezel@live.fr

التّشّ: 2018/12/01

القبول: 2018/06/18

الاستلام: 2018/05/01

الملخص: تعد اللغة وسيلة التواصل بين الأفراد فقد صارت تشهد تداخلا من طرف لغات اخرى بحكم التطور الحضاري ففي الجزائر اكتسى طابع التعددية اللغوي فموضوع الازدواجية اللغوية لدى الطفل أحد الموضوعات الحديثة التي اصبحت تشد اهتمام الباحثين لأسباب عديدة منها أن الازدواجية اللغوية ومظاهر الوعي بها يشكل الحقل الخصب للدراسات.

نحاول في هذه الورقة التطرق الى مظاهر نمو الوعي بالازدواجية اللغوية لدى الطفل في الجزائر من خلال التطبيق على عينة من الأطفال بالمدرسة الابتدائية من خلال طرح أسئلة تتعلق أساسا بمفهوم الوعي بالازدواجية اللغوية واستكشاف أفكارهم وما هي فوائد الازدواجية وهل هذه الاخيرة تساعده على وعي مبكر باللغة

الكلمات المفتاحية: اللغة ؛ الازدواجية ؛ الطفل ؛ الوعي ، نمو.

Abstract : Language is the means of communication between individuals has become witnessing interference by other languages by virtue of cultural development in Algeria has taken the nature of multilingualism, the subject of language double language of the child is one of the modern topics, which has become the attention of researchers for many reasons including that linguistic duplication and the manifestations of awareness is a fertile field for studies. In this paper, we try to address the growing awareness of the child's linguistic double-play in Algeria through the application of a

sample of children in primary school by asking questions related mainly to the concept of awareness of linguistic duplication and the exploration of their ideas and the benefits of duplication.

Key words : Language; duplication; child; awareness, growth

مقدمة: يعتبر موضوع الوعي بالازدواجية اللغوية لدى الطفل أحد الموضوعات الحديثة نسبياً التي أصبحت تستأثر باهتمام الباحثين المتزايد وخاصة في علوم النفس والاجتماع والتربية واللسانيات وذلك لأسباب نظرية وأمبيقية وتطبيقية. فمسألة العلاقة بين الوعي اللساني وسيرورة اكتساب اللغة عامة ، بها في ذلك الازدواجية اللغوية ، كانت وما تزال تحظى بالاهتمام على مستوى البحث والتقصي . فكثيرة هي الأعمال التي تمحورت حول دراسة طبيعة هذه العلاقة وبيان إلى أي حد ينعم الطفل مزدوج اللغة Bilingue بامتياز معين على مستوى كفاءة وعيه اللغوي إذا ما قورن بالطفل أحادي اللغة Monolingue ويرى د . السيد الشرقاوي أن اللغة الأم هي أساس نمو الملكة اللغوية واستقرارها عند الطفل العربي ، مستمدة عناصرها من هذه الملكة ⁽¹⁾ . وجاء في المعجم الوسيط أن الملكة صفة راسخة في النفس ، واستعداد عقلي لتناول أعمال معينة بحذق ومهارة ، ومن ذلك الملكة اللغوية ، التي تعني المهارة ⁽²⁾ والحذق في نطق اللغة العربية من جراء سماع أساليب النطق ، وقد يكون ذلك من غير علم بقوانينها ، لأنها شيء ، وقوانينها شيء آخر . فالملكة غير صناعة العربية ، وصناعة العربية (النحو) ، إنما هي معرفة قوانين هذه الملكة ومقاييسها خاصة . أما هي فتعني المقدرة على النطق الصحيح للغة سواء أعلم الناطق قوانين هذه اللغة أم لم يعلمها ⁽³⁾ . وعليه سنحاول استكشاف المعارف والتمثلات لدى الطفل الجزائري عن الازدواجية اللغوية وأهميتها وفائدتها . تعيين دور كل من الازدواجية اللغوية والوعي اللساني في بعضهما بعض .

الازدواجية اللغوية: هناك فرق كبير بين الازدواجية و الثنائية في التعريف الاصطلاحي لهما ، فهناك من يعد الثنائية هي العلاقة بين اللغة الفصيحة ولهجاتها ، وهناك من يعبر عنهما بالازدواجية ، و كأن الثنائية والازدواجية مترادفتان تعبران عن نفس المفهوم ، وهنا من اعتبر الثنائية بين لغة ولغة ، والازدواجية بين لغة و لهجة ، وهناك رأي آخر يرى أن الثنائية بين لغة ولهجة ، و الازدواجية بين لغة ولغة ، و الدكتور رمضان عبد التواب يقر على وجود الازدواج اللغوي بين لغة و لهجة في قوله : "...الازدواج موجود ، غاية ما هنالك أنه يحدث نوعاً من التقارب بين لغة الحديث واللغة الأدبية لحدوث التفاعل بينهما ، فتتأثر كل واحدة منهما بالأخرى" . ⁽⁴⁾ يثير مصطلح الازدواجية اللغوية تساؤلات منهجية و معرفية منذ أن بدأ

التمييز بينها وبين الثنائية، اللذان يشهدان خلطا و تدخلا فيما بينهما، و نظرا لهذا الخلط ظهرت وجهات نظر مختلفة بين العلماء حسب الاختصاصات و مجالاته و من بينهم نجد "يريه" و "فان أوفرباك" حيث يؤكدان أن ازدواجية اللغوية تعني "امتلاك وسيلة مضعفة ضرورية أو اختيارية للانتقال الفعال بين عالمين مختلفين بواسطة نظامين لغويين". أما "هوغان" يقول بأن ازدواجية اللغوية هي حالة كل أفراد الذين يشتركون في صفة عدم أحادي اللغة أما "مارتي" فيرى أن مزدوج اللغة هو الشخص الذي يتقن استعمال اللغتين بنفس الكفاءة

كما نجد من التعريفات التي وردت عن الازدواج اللغوي: "الازدواج اللغوي بمعنى تواجد لغتين في مجتمع أو بلد من البلدان، اللغة الفصحى أو الرسمية أو لغة الكتابة بجانب اللغة المتداولة أو اللهجات السائدة التي يفكر ويتحدث بها الأفراد في حياتهم اليومية" (5) يعرفها الأستاذ صالح بلعيد بقوله هي استعمال نظامين لغويين في آن واحد للتعبير والشرح، وهو نوع من الانتقال من لغة إلى أخرى. (6) و يؤكد هذا أندري في الموسوعة الجغرافية " أن الازدواجية اللغوية هي الوضع الذي توجد فيه لغتان في نفس البلد إحداها لغة الأغلبية والأخرى لغة الأقلية ولهما نفس الوضع القانوني كالإعلامي وكذلك في الدوائر الحكومية مثال ذلك بلجيكا، كندا، سويسرا، دول المغرب العربي (الجزائر، تونس، المغرب.) ولعل الظاهرة تنتج بحتمية طبيعية، ذلك كلما حدث احناك لغة بأخرى عبر فترات من الزمن، لمما ينتج عنه قدرة الأفراد على استعمال النظامين كلاهما أثناء حديثهم اليومي. اليومي، ويقابل مصطلح الازدواجية في اللغة الفرنسية اللفظ *bilanguage*.

الوعي والازدواجية اللغوية: لم تكن الازدواجية اللغوية تحظى بالقبول والرضا بسبب آثارها السلبية الوخيمة على نمو الطفل المعرفي وعلى نجاحه الدراسي. لكن الأعمال الحديثة، وعلى عكس هذا الموقف، راهنت على بيان فوائدها الإيجابية سواء على المستوى الفكري أو على مستوى النجاحين الدراسي والاجتماعي. ونعتقد أن هذا التغير في الموقف يعود ربما إلى التعريف الجيد الذي أصبح يناط بمفهوم الازدواجية اللغوية ثم إلى التمييز الدقيق الذي أضحت الأبحاث الحديثة تعتمده بين مختلف درجات وأنواع هذا المفهوم. وهذا أمر كثيرا ما تُرجم إلى مجموعة من النتائج الإيجابية التي تُثمن أهمية الازدواجية اللغوية وخاصة على مستوى مساهمتها في تفعيل المبكر للوعي اللساني عند الطفل.

الواقع أن العلاقة الإيجابية بين الازدواجية اللغوية والوعي اللساني حتى وإن كانت قائمة الذات، فهي تبقى صعبة التفسير ولا تأتي بإيضاحات حول سيورة اكتساب لغتين اثنتين. و كتوضيح لهذا الأمر نشير إلى أن الدراسات حول الازدواجية اللغوية لا تعالج مباشرة

وبصورة ملموسة مسألة الدور الذي يلعبه الوعي اللساني في الاكتساب المزدوج ، بل تكتفي في أغلب الحالات بالتنصيص على أن الازدواجية اللغوية تشكل عاملاً هاماً يسهل تكوين الوعي وتطويرة .بتعبير أدق ، يعتبر الوعي اللساني في هذه الدراسات كنتيجة للازدواجية اللغوية وبدون أي تدقيق لدوره المحتمل في هذا الاكتساب المزدوج .غير أن هذا الدور إذا كان يبدو ممكناً بالنسبة لاكتساب لغة واحدة ، فإنه سيصبح أكثر مقبولية حينما يتعلق الأمر بالاكتساب المتزامن للغتين اثنتين أو باكتساب لغة ثانية .فما تم قوله بخصوص دور الوعي اللساني في اكتساب لغة واحدة (اللغة الأم) ، يصح تثمينه بالنسبة للاكتساب المتزامن للغتين اثنتين في إطار أن النشاط اللساني الواعي في هذه الحالة يكون أكثر وضوحاً ، بحيث يمكنه أن يؤثر إيجاباً على الأداء في اللغتين معاً⁽⁷⁾

إن التفاعل بين الوعي اللساني وتأثيره في اكتساب لغة ثانية يرتكز في الواقع على طبيعة سيروية الاكتساب وخصائصها الجوهرية ، فالنمو لدى الطفل هو تلك المعارف اللغوية ومظاهر وعيه بأشكال ازدواجيتها وتعددتها ، أما الوعي اللغوي أو اللساني هو معرفة الطفل لمظاهر اللغة وقدرته على تحليل اللغة ومعرفة أشكالها

نظريات واتجاهات في الوعي اللغوي عند الطفل:

أسهمت في ظهور الكثير من النظريات ذات المرجعية السيكومعرفية والسيكولسانية منها: يعتبر الاتجاه البنائي مع أقطابه (بياجي) أن المعرفة اللغوية من تجليات النشاط التمثلي ، وتشارك مع باقي الآليات المعرفية الأخرى ، في تحريك وتيرة النمو التي تنتقل من مرحلة الفعل الحركي إلى المعرفة المجردة ، ومن المعرفة غير الرمزية واللاواعية إلى المعرفة الرمزية والواعية أو الانتباه الذهني أو بنية المراقبة التنفيذية .

أما الاتجاه المعلوماتي ، فيتبنى فكرة الاشتغال الآلي والتلقائي للتمثيلات الرمزية .وهناك من يرى من يعتبر أن الوعي اللغوي يكون في فترة مبكرة من نمو الطفل ، وتجلي هذه القدرة في التفكير في اللغة والوعي بعناصرها ومكوناتها ، وفي إنجاز الكثير من النشاطات اللسانية الواعية المبكر

اكتساب اللغة عند المطفل: يمكن تقسيم الدراسات حول موضوع اكتساب اللغة إلى

قسمين: المقسم الأول ويتعلق بدراسات اللغة الأم أي اللغة الأولى ، والمقسم الثاني يتعلق باللغة

(8)

الثانية ، لكن المنظريات المتعلقة باكتساب اللغة الأولى ملائمة لاكتساب اللغة الثانية

-نظريات اكتساب اللغة الأولى: هناك العديد من النظريات والمتوجهات التي تفسر اكتساب اللغة عند الطفل ، ومن أهمها نظريتان قد تطورتا وأصبحتا شائعتان حول كيفية اكتساب اللغة .وهاتان النظريتان كانتا متضادتا الأفكار :الأولى النظرية السلوكية ، والتي ترى أن اللغة تتطور نتيجة نتيجة عوامل بيئية ، والنظرية الثانية ، هي النظرية الفطرية وترى أن اللغة تتطور بفعل عوامل فطرية تولد مع الإنسان ، أما الأفكار وجهات النظر الحديثة حول كيفية اكتساب الإنسان اللغة ، فركز على التفاعل المعامل البيئية والمقدرات الفطرية وهي النظريات التفاعلية التي نفسرها بعملية اكتساب اللغة ⁽⁹⁾

-النظرية السلوكية: يتزعمها واطسون و سكينر ، حيث اعتبرت هذه النظرية أن النمو اللغوي يخضع لمبادئ المتعلم :المتدعيم ، التقليد ، المحاكاة و الإشراف .المتدعيم: ويعتبر سكينر المتدعيم فصلا من فصول المتعلم ، حيث أن الاستجابات اللغوية التي يليها تدعيم من المحيطين بالطفل على شكل ابتسامات ، تشجيع أو أصوات ستستمر ، أما التي لا يليها تدعيم تتلاشى ، كما يرى سكينر أن المهارة اللغوية ينمو وجودها عن طريق المحاولة والخطأ ⁽¹⁰⁾ ولقد ركزت النظرية السلوكية ، التي جاء بها بلومفيلد ، على دراسة الكلام باعتباره أصواتا دون اعتبار للمعنى حيث إن "اللغة من وجهة نظر التفسير السلوكي استجابات يصدرها المتكلم ردا على مشيرات ما يكفيها حافز البيئة ، تأخذ السلوك اللفظي القابل للملاحظة والمعينة والمباشرة" ⁽¹¹⁾

من هنا وصف سكينر الطفل "بأنه يولد ذهنه صفحة بيضاء خالية من اللغة تماما ، وعندما ينجح في اكتساب عادة اللغة المعقدة التكوين نتيجة التدريب المتواصل الذي يخضع لنظام وتحكم لأن ذلك يمكنه من تعلم عادات لغوية أخرى" ⁽¹²⁾

التقليد والمحاكاة: حيث يرون أن اللغة تنتقل عن طريق النمذجة والتقليد والمحاكاة ، إذ يعتمد الطفل على المحيطين به في تعلمه للغة خاصة من الأبوين ، فهم يقدمون النموذج الأول للطفل ، ويؤكد ألبرت بندورا A.Bandura على دور المتعلم من خلال لملاحظة ، فحسبه لغة الأطفال ترتقي بصفة أساسية ، بتقليد المفردات والمركيب اللغوية التي يستخدمها الآباء ⁽¹³⁾ لتوليد اللغة

النشكيل: يعرف التشكيل باسم التقريب المتتابع أو مفاضلة الاستجابة ، وهو أسلوب سلوكيات جديدة عن طريق المتدعيم لسلوكيات موجودة لدى الفرد ، وبالتدرج يتم سحب

المتدعيم من السلوكيات الأقل مماثلة، ويركز على السلوكيات الأكثر تشابهاً والتي تصبح شيئاً فشيئاً مشابهاً للسلوك النهائي المرغوب. إن الإشكال المطروح في هذه النظرية أن التقليد والمحاكاة لا يساعدان المتعلم في المواقع الحياتية، ذلك لأن المتعلم يحتاج إلى تشكيل جمل جديدة لم يألّفها من قبل، لأن كلام الطفل لا يقتصر على قولب جاهزة، فالطفل يتعلم الكثير من دون اللجوء إلى المحاكاة، حيث يبتكر كلمات لم يسبق أن تعلمها - النظرية الفطرية: لتفكير تشومسكي Tchomsky على التركيب الداخلي للغة، وعلى الأنماط العامة للنمو اللغوي والمتشابه الأساسي بين كل اللغات، والعلاقة بين نضج الجهاز العصبي والقدرة اللغوية، وأكثر دليل يدعم الاتجاه الفطري للغة هو تشابه مراحل النمو اللغوي عند جميع أطفال العالم، ولقد عارض تشومسكي و أتباعه فرضية أن اللغة تكتسب بالمتعلم فقط، وانتقد مبادئ النظرية السلوكية وأشار إلى أنه عند تحليل التفاعل بين الأبناء والآباء، وجد أن جميع الأطفال يمرون بنفس المراحل ويتعلمون لغتهم الأصلية وهذا يعني أن اللغة ليست سلوكاً يكتسب بالمتعلم والتدرب والممارسة فحسب، كما يرى السلوكيون، بل هناك حقائق عقلية وراء كل فعل سلوكي، أي أن اللغة تعد تنظيمًا عقلياً معقداً لأنها أداة تعبير وتفكير في آن واحد⁽¹⁴⁾، ويعتمد تشومسكي على مبادئ أهمها:

الميل الفطري لاكتساب اللغة: حيث ترى هذه النظرية أن الطفل المسوي يكون مهيأً بيولوجياً لمتعلم أي لغة بشرية بسهولة، كما يرى تشومسكي 1968 أن الجهاز العضوي تركيبياً وعقلياً يتضمن المقابلية لإنتاج اللغة، " هذه النظرية التي ترى أن لدى الأطفال استعداد لمهارة فطرية في اكتساب اللغة وهي تساعد على تكوين الجمل كلها نضج العقل واكتساب الطفل مهارات أكثر في الفهم والإنتاج، ومن هذا المنطلق يعتقد تشومسكي Chomsky ومساعدوه أن اكتساب اللغة مرهون إلى حد كبير بالبنى اللغوية الفطرية التي توجد في أصل الإنسان. وأن هذه البنى اللغوية الخاصة تبدأ عملها في مرحلة محددة من النضج وهي تزود الطفل بمعلومات مبرمجة مسبقاً على نحو فطري. فالطفل يولد وهو يمتلك بنى فطرية خاصة للغة وهذه البنى تنضج في سياق اللغة التي تحيطه في وسطه الثقافي والاجتماعي. فالطفل كما يذهب تشومسكي يولد وهو مزود بقدرة فطرية خاصة على تعلم اللغة وأن هذه القدرة تميل إلى النشاط بين الشهر الأول من العمر والسنة الخامسة ثم تبدأ هذه القدرة بالضمور بعد أن تكون قد أدت الغاية من وجودها

يمكن القول حسب هذه النظرية أن للإنسان قدرة فطرية على اكتساب أي لغة ، لكن نرى أن هذه النظرية قد أغفلت دور العوامل الاجتماعية والميئية في اكتساب اللغة ، من خلال المعرض المسابق لمنظريات اكتساب اللغة ، نجد أن هناك اتفاقاً حول أهمية هذه المرحلة العمرية ، منذ بداية استعداد الطفل الفطري لاكتساب اللغة حول إعداد البيئة الاجتماعية والثقافة المحيطة بالطفل ، وذلك من خلال النماذج اللغوية المختلفة والتي يتعامل معها الطفل ، وكذلك الاهتمام بإعداد بيئة تعليمية غنية بالمواقف والخبرات الطبيعية والاجتماعية ، وإتاحة الفرصة للحوار والمناقشة والتعرض للرموز اللغوية

خاتمة: يمثل وعي الطفل المبكر بكثير من الأنشطة التداولية والصيغ اللسانية الدالة على الكينونة لازدواجية اللغوية وفائدتها الدليل الواضح على دور هذه الأخيرة الإيجابي في نمو هذا الوعي والرقى بصاحبه الى مستوى التفوق والتنميز على نظيره احادي اللغة في التعامل الواعي مع اللغات وبنياتها المختلفة فاذا كانت الازدواجية اللغوية تشكل بهذا المعنى احد العوامل الهائلة لتكوين الوعي اللغوي وتطوره فان هذا الاخير يسهم بدوره في اغناء هذه الازدواجية وتنميتها من خلال تسهيل سيوروة اكتسابها وإدراك مختلف وظائفها ، إن ممارسة الازدواجية اللغوية لابتداء بالضرورة في المدرسة على شكل تعلم لغة ثانية بل إنها تتمظهر قبل ذلك في صورة أنشطة وتجارب ومعارف مبكرة يواجهها الطفل و يتعامل معها على مستوى والتأمل . فتواجد هذا الأخير ونشأته في وسط أسري يمتلك من المقومات الثقافية واللغوية والتربوية ما يؤهله باكتساب أكثر من لغة واحدة ثانية

الهوامش والاحالات:

(1) السيد الشرقاوي: عربية الإعلام والتفاعل بين الفصحى واللهجة العامية ، 1993 ، ص 94

(2) المعجم الوسيط ، مادة (ملك) مجمع اللغة العربية ، القاهرة ، ط 3 / ص 921

(3) مقدمة ابن خلدون (المجلد الأول : ط 2 ، مكتبة المدرسة ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت 1996

(4) رمضان عبد التواب ، فصول في فقه اللغة ، مكتبة الخانجي ، القاهرة 1999 ، ط 6 ، ص 6.

(5) مختار ابراهيم أحمد: مقال أضواء على بعض مشكلات الأمية في البلدان النامية ، مجلة الفيصل ، العدد 86 ،

ماي 1984

(6) صالح بلعيد ، التهجيم اللغوي: المخاطر والحلول المجلس الأعلى للغة العربية ، الجزائر ، 2010 ، ص 1 .

(7) R.J. Slobin, D.I (1978). A case study of early language awareness, In A. SINCLAIR; language, Berlin: Springer-verlag, JARVELLA & W.J. LEVELT (eds). The child conception of 53-79.

- (8) New York: McGraw Fodor, J. Bever, T.& Garrett, M. The Psychology of Language - Hill.
- (9) Berk, (1998) "Developmental Psychology: Language Development & Reading Acquisition
- (10) شاش، م.، 2002 ، علم نفس اللغة ، مصر : مكتبة الزهراء الرازي.، (1989) ، مشكلات اللغة العربية المعاصرة ، عمان : مكتبة الرسالة ، ط1 ، ص31
- (11) أحمد حساني: دراسات في اللسانيات التطبيقية ، ص 91.
- (12) عبد المجيد سيد منصور : علم اللغة النفسي ، جامعة الملك سعود ، الرياض ، عمادة شؤون المكتبات ، 1982 ، ص 135
- (13) المسابق المرجع اللغة ، نفس علم ، 2002 (31 ،
- Parameters in Syntactic Theory in Hornstein and (14) Chomsky, N., (1981) rinciples and ightfoot, Explanation in Linguistics, "the Logical Problem of Language Acquisition", : London: Longman